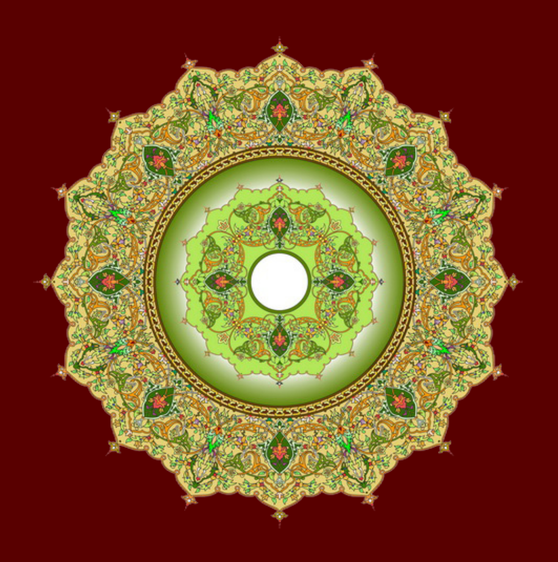


رمضان يبني القيم

(كتاب البيت والمسجد في شهر رمضان)

تأليف

د / مشعل عبد العزيز الفلاحي





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فشهر رمضان من أعظم الفرص في واقع المسلمين، ومن فقه الدعاة والمصلحين أن يقرؤوا قيم ومعاني ودروس هذا الشهر بإمعان ويحاولوا جاهدين في تذكير المسلمين بها وتربيتهم على مباهجها قدر المستطاع، وقد حاولت جاهداً أن استل أكثر هذه الحكم والمعاني وأعلّق عليها بشكل مختصر محاولة في الترويج لها وتوسيع مساحتها وتدارسها من خلال البيت، والمسجد، والملتقيات حتى تحقق مقصودها في النهاية داعياً الله تعالى أن تكون عوناً على رسالة إمام المسجد وتحقيقاً لغاياته في هذا الشأن الكبير. والله الموفق ومنه العون والحول إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المؤلف





[١] مباهج الفرح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

هذا هو رمضان!

وهذه ليالي الأحلام!

ومن هنا تبدأ قصص البدايات.

هذه قناديل الفرح تملأ طرقاتِنا، وتثيرُ مشاعرَنا، وتأتي على مباهج حياتِنا.

من الطارق؟

من هذا الذي أعاد ترتيب حياتنا من جديد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

أهلاً أيها القادم بعد طول زمن!

أهلاً بك يارمضان بعد طول انتظار.

ما كل غائب يُنتظر! ولا كل قادم يستحق الفرح!

وصدق الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يبشر بقدوم هذا الشهر ويدعو لاغتنامه واستثماره قال



صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**جاءكم شهر رمضان، شهر تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النيران، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم**».

وأخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جاءه وقال له: «**من أدرك رمضان فلم يغفر له رغم أنفه**» أي تلطّخ أنفه بالتراب لأنه مضيّع للفرص!

كم في هذا المساء من ميّت غاب صوته واندثرت صورته!

وكم من مريض محبوس عن مباهج ليلته!

وكم من سجين لا يرى غير حديد زنزانته والواحد منا يعيش آمنًا في وطنه، معافًا في بدنه.

إن من حق هذه النعمة أن تستقبل بالشكر لله وأن يصدق الإنسان مع ربه تعالى وأن يصلح قلبه وأن يلح على الله تعالى أن يعينه على بلوغ أمانيه.



[٢] مشروعك الرمضاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

هل فكّرت في مشروعك الرمضاني! أم ما زلت تنتظر!

هل عزمت النية هذا العام أن تكتب لنفسك مشروعـاً يعبر عن شخصيتك ويكتب أثرك!.

هاهو رمضان يعود، وها هي نعم الله تعالى تتجدد عليك من جديد!

ها أنت ما زلت حيـاً وغيرك رحل! ومعافـاً وغيرك مريض، وحراً طليقـاً وغيرك في غياهب السجون فماذا تنتظر!.

هذا يرتّب مكانه، وذاك يعد حاجاته وأشيائه، وثالث ورابع وخامس. وأنت ما مشروعك الذي تستقبل به شهرك، وتستثمر به فرصتك وتملأ به فراغك، وتبني به مستقبلك!

ما أكثر ما تلوح الفرص وما أكثر ما تضيع!

وكم من فائت لم يجد فيه البكاء شيئـاً!.

يمكن أن يكون مشروعك توبة صادقة تستدرك بها ما فرط، وتستقبل فيها عفو ربك ورحمته ورضاه.

لقد آن أوان الاستعتاب من ربك، وتجريد قلبك له وصدقك معه، يكفي أيام الظلام وقد آن ميعاد الفرص من جديد.



ويمكن أن يكون مشروعك تجديد الصلة بالله تعالى في عبادتك وسائر شؤونك ليرى الله تعالى منك خيراً في أعظم فرائض الإسلام على الإطلاق، لتستكثر من نافلة الصلاة والصدقة والذكر وسائر الأعمال وتذكّر قول ربك تعالى «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه».

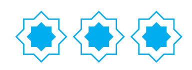
ويمكن أن يكون مشروعك إحياء معاني كتاب الله تعالى في واقعك من خلال فقه معانيه وتدبر آياته وتطبيق أحكامه، جرّب هذه الشهر أن تفقه ما تقرأ وتطبّق ما تصل إليه من معاني.

ويمكن أن يكون القيام على حوائج الناس وإعانتهم.

ويمكن أن يكون مشروعك دعوياً يستثمر إقبال الناس، وينتهز الفرص في دعوتهم.

ويمكن أن يكون مشروعك استثمار هذا الشهر في الإصلاح بين المتخاصمين ومحاولة جمع شملهم من جديد.

المهم أن تختار مشروعاً يمكنك من استثمار طاقاتك ويعينك على الاستفادة من شهرك، ويمكنك من الفوز في النهايات.





[٣] رمضان والتغيير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

كم واحد منا حدّث نفسه أنه لا يستطيع أن يغير واقعه أو يستبدل عاداته السلبية أو يصنع واقعاً جديداً في حياته وحين جاء رمضان قلب هذه التصورات وأحدث نقلة نوعية في كل شيء.

كم هي المرات التي حاولنا أن نصوم فيها بعض الأيام تطوعاً وعجزنا عن خوض هذه التجربة ويأتي رمضان ويصوم الواحد منا خمسة عشرة ساعة لا يبالي بطول اليوم ولا يكترث بعدد وعاش الواحد منا مستعلياً على كل الشهوات التي يراها بعينه وترمقها مشاعره، بل استطاع أن يغيّر نظام اليوم كله، ويضفى جديداً لحياته وعاداته ويتأقلم مع الواقع الجديد في زمن قياسي.

حتى الذي كان مبتلى بعادة التدخين مثلاً واعتذر مراراً عن الفكاك عنها ساعة واحدة في يومه استطاع أن يقف في وجه تلك الشهوة زمناً طويلاً دون أن يمد يده إليها أو يحدّث نفسه بها، كل هذا يعطينا يقيناً أننا نملك من القدرات والإمكانات ما نستطيع أن نصنع به مانشاء إذا أردنا، وأن حياتنا كلها وقف على الإرادة.

لنتخلى عن تلك المعاني التي تحاصرنا في كل مرة (لا أستطيع، لا أقدر، صعب، غير ممكن، جربت، حاولت) ولنقنع أنفسنا أن في إمكاننا كل شيء.

إن من القواعد المقررة في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ





يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١] وهي دعوة لأن نبدأ الخطوة الأولى ونحن واثقون بأنه سيتحقق لنا كل شيء.

كثير من مشكلاتنا وأخطائنا مع أنفسنا وأزواجنا وأسرنا وفي علاقتنا بالله تعالى ومع الآخرين لا تحتاج منا سوى أن نبدأ في تصحيحها وإعادة مسارها وترميم شعثها وخلق الحياة فيها من جديد وحينها سنرى الحياة.



[٤] الخطوة الأولى

جاء رمضان على أسر متخاصمة وأرحام متقاطعة وقلوب متهاجرة وكل واحد من هؤلاء يحدث نفسه وينتظر صاحبه أن يمد يده معتذراً إليه، مات بعضهم في مسافة ذلك الانتظار وغاب بعضهم عن الحياة.

وفي البخاري من حديث عبادة بن الصامت قال: خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى (تخاصم) رجلان من المسلمين فقال: «**خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت**».

تأمل كم من خير فوّته الخلاف والنزاع والشقاق على هذه الأمة!

وتخيّل في المقابل أن مسلماً صام رمضان وقام ليله وصنع كل شيء ولكن الله تعالى لم يقبل عمله ولم ينظر إليه ذلك لأنه في خصام ونزاع مع رحمه وجاره وصديقه وزميله.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تفتح أبواب كل اثنين وخميس فيغفر الله ذلك اليوم لكل عبد لايشرك به شيئاً إلا من كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا**».

وفي كتاب الله تعالى وعيد عظيم للقاطعين لأرحامهم والمتهاونين في هذا الواجب الشرعي الكبير ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وخيرهما**



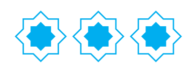
الذي يبدأ بالسلام».

ماذا لو أنك أنت الذي مددت يدك وكنت صانع الخطوة الأولى!

ماذا لو أنك صنعت هذا لله تعالى وتعاليت عن كل عوارض الطريق.

ابدأها أنت وكن صاحب القرار الأكثر أثراً في حياتك كلها.

كن أنت الذي يرضي ربه ويصل رحمه ويستعلي على شهواته ويكتب ميلاده ويصنع قصة مجده الكبير من جديد وتذكر «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**».



[٥] الهدف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

لا أعلم حياة بهيجة دون هدف! ولا أرى شيئًا مثيراً في حياة إنسان من غير هدف.

إذا لم تصبح تطارد هدفًا، وتسعى وراء أمنية، وتجهد في بناء غاية، وتمسي على ذات المعنى وإلا فاتك كل شيء.

تحديد الهدف نصف المعركة، والنصف الآخر منها في العيش من أجل ذلك الهدف.

جاء رمضان ليؤكّد لنا هذا المعنى، ويثير فينا همومه وتحدياته:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

فرق كبير بين صائم يمسك عن الطعام والشراب وينتظر غروب الشمس لتمام يومه، وآخر يمسك عن كل شيء رغبة في بلوغ ذلك الهدف الكبير ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.

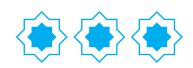
التحدي الكبير ليس في أن تمسك يومك عن طعام وشراب فذاك شأن يجوزه كثيرون، وإنما الشأن أن تتذلل جوارحك لأوامر الله تعالى، وتتعبد له، وتقف



مجلة لحرماته راعية لأوامره آتية من ذلك على غايات الصيام الكبرى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

كم هو الفرق بين إنسان يعي قيمة الهدف ويصر على المرابطة على تكبيرة الإحرام في صلاة التراويح والقيام فضلاً عن حضور مشاهدها وهو يعي قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه».

يمنحنا هذا الشهر فرصة التدريب والتأهيل والنضال من أجل الأهداف ويذكرنا بأن الواجب على كل واحد منا أن يسأل نفسه عن أهدافه الكبرى في الحياة، وما صنع في تحديات الدار الآخرة! وما مشروعه الذي يجب أن يرابط عليه! وما القضية الكبرى التي يجب أن يصبح ويمسي ويسافر ويقيم على أحداثها حتى الموت !



[٦] رمضان والسنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

يدهشني كثيراً منظر تلك الأسر عند الإفطار وهي ترقب الرطب وتقدمه على كثير من شهواتها، وتراه أهنأ لها من غيره، لا لذته فغيره أشهى منه وألذ، وإنما لأنه سنة نبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان يفطر على رطبات.

الأكثر في الدهشة أنه قد يتأخر هذا الرطب، ولا تجده الأسرة لحظة الأذان وتبقى تبحث عنه، وتكد في طلبه وتضحي بوقتها من أجله كل ذلك إجلالاً للسنة وتعظيماً للوحي رغم مساحة الشهوات الممتدة على طاولة الإفطار في تلك اللحظة.

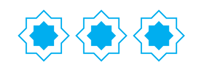
السؤال الضخم: ماذا لو امتد مشهد الحرص على الرطب لحظة الإفطار في رمضان إلى مشاهد حياتنا التي نعيشها كل يوم!

كيف لو أن الإنسان صار يتحرك في بيته وفي سوقه، وعمله وسائر حياته على هدي وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!.

ماذا لو نقلنا مشهد انتظار الرطب لحظة الإفطار إلى بيوتنا فتتحوّل السنة إلى منهج في التعامل مع زوجك ولدك «**خيركم خيركم لأهله**» وتطول جيرانك «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**» وتصبح جزءاً من حياتك «**إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**».



إن حاجتنا لسنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق كل حاجة، ولو لم يكن من ذلك إلا امتثال قول الله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] وانتظار تلك النهايات الكبرى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١] لتحقق لنا كل شيء.





[٧] رمضان والوقت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

(الوقت) أكثر الأدوات أثراً في حياة الإنسان. وإذا رأيت تيجان الفضيلة على رؤوس أصحابها فتلك فضيلة الوقت ما زالت بهم حتى ألبستهم تلك التيجان.

جاء رمضان ليثير فينا هذه الفضيلة ويبين لنا أن الوقت أعظم موارد النجاح.

إنك حين تفطر بثوان معدودة قبل غروب الشمس لا يكن لك من يومك شيء، وذهب كل وقتك لا قيمة له، وحين تأكل بعد أذان المؤذن في الفجر بلحظات لا تستقبل من يومك سوى الحسرات.

يعلمنا رمضان أن الاحتفال بالوقت هو صناعة الكبار، وأن من فرّط في وقته لم يستقبل سوى الندامة، وقد أقسم به ربك مراراً في كتابه (والعصر، والضحى، والفجر، والليل) وقال رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**».

إن ثلاث دقائق كافية لصلاة ركعتين...

وعشرين دقيقة كافية لقراءة جزء من القرآن...

ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مئة مرة لا تستغرق سوى سبع دقائق...





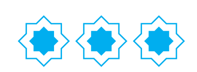
وإذا قرأت خمسة وعشرين حديثًا من البخاري في كل يوم أتيت عليه كاملاً في ثلاثة أشهر...

وساعة أسبوعية تكفي لزيارة رحمك.

لقد احتفل أحد المبدعين بوقت ما قبل النوم فخصص عشرين دقيقة أتى منها على قراءة مسند الإمام أحمد، وسير أعلام النبلاء الأول منهما في أربع وثلاثين مجلداً، والثاني في ثلاث وعشرين مجلداً، وخلق من مساحة مستقطعة تذهب في تصفح الجوال عند كثيرين مساحة إبداع أتى منها على بعض أحلامه التي يريد.

وأنت أبصر بوقتك وأدرك لواقعك وأحفظ لعمرك من الشتات.

يمكنك أن تعود لحياتك الشخصية، وبيتك وأسرتك، وعملك، ومشروعك في الحياة وتبني لها أهدافًا تعينك في النهاية على بلوغ أمانيك.



[٨] تعظيم شعائر الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد

من أعظم الغايات التي جاء رمضان لتجذيرها في نفوسنا تعظيم شعائر الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

لم يأت رمضان لنتوقف عن الطعام والشراب فحسب فتلك غاية يحسنها كل إنسان، إنما جاء رمضان لصناعة الغايات الكبرى من تعظيم الله تعالى، وإجلاله والقيام بشعائره، والوقوف عند زواجره ونواهيه.

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ دعوة لملئ مساحات رمضان بالطاعات والإتيان من خلال زمنه على كثير من المعاني العبادية التي من شأنها إعداد الإنسان للحياة، وجعله عنصراً فاعلاً فيها.

إذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة فتأمل قول نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» من لم يدع الباطل من الكذب والزور ومخالفة الحق في أيام رمضان فلا حاجة لله تعالى في ترك طعامه وشرابه.

وكم من صائم لا يلتفت الله تعالى إلى جوعه وعطشه !

وكم من مؤمل في غير طريق!.



﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تزداد صلتك بالله تعالى فتقوم له تعالى بواجباته وتجل أوامره وتنتهي عن حرماته وتعظم شعائره!

معيار التقوى في رمضان أن تصدق في توبتك، وتقبل على طاعة ربك، وتتنزه عن حرماته قدر وسعك ومتى ما تحقق لك ذلك تحقق لك هذا المعنى الكبير.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ دعوة لأن تتحرص أن يهتك لسانك عرض مسلم، أو تعبث عينك في الحرمات، أو يقع بصرك في معصية الله تعالى وليكن قول نبيك ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» هو رحى التحدي الكبير ونهاية تلك الغايات التي نريدها في النهاية.





[٩] درس الوحدة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

لا تحتاج في رمضان لمفاهيم ومعارف جديدة تذكرك بأهمية وحدة هذه الأمة . بل يكفي هذه المشاهد التي نراها في أوقات الإفطار والسحور والتراويح.

تحتاج الأمة لتعميق مفاهيم الوحدة من خلال المعارف والمفاهيم إلى زمن طويل وقد لا تأتي منه في النهاية على ماتريد.

حين يأتي رمضان يختصر كل ذلك في مشاهد تطبيقية عملية يومية تملأ أعين الناظرين.

أراد الشارع بمثل هذه الصور أن يبني في نفوسنا قيمة الاجتماع، ويؤلف روح الجماعية فيما بيننا، ويخلق من هذا الشتات جموعاً تشعر بعمق الصلة وروح الانتماء فيما بينها ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ومن تأمل حرص الشارع على صلاة الجماعة في بيوت الله تعالى، وصوم رمضان، وحج بيت الله تعالى علم ما للاجتماع في الإسلام من معنى.

إن الأمة اليوم تعاني تخلّفاً في جملة من مشاريعها النهضوية وقاعدة هذا التخلّف هو النزاع والشقاق الذي بلغ مداه وتوسّع بشكل ملحوظ على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات ولعل سؤالاً لأقرب محكمة ستعرف من خلالها أن أكثر معاملاتها ما يتعلّق بالنزاعات الأسرية (أنموذجاً) فإذا ما توسّعت قليلاً



ادركت أن خلافات يتقد فتيلها بسبب نعرات قبلية على أراضي أو عادات أو وقائع وأحداث كانت يومًا ما! فإذا ما وسّعت الدائرة قليلاً وجدت خلافًا بين أصحاب الحق الواحد وأكثره على الفاضل والمفضول.

جاء رمضان اليوم يعلمنا أن درس الوحدة واجتماع الكلمة من أعظم مقاصده، وهذه الجموع التي تلتقي على صفرة واحدة عند الإفطار والسحور وتتعبّد لله تعالى على مدار شهر كامل وتتوجه إلى قبلة واحدة في التراويح والقيام في صف واحد لا تختلف وجهته حقيقة بأن تعي هذا الدرس وتفقه مضامينه وتعي آثاره وتطبّق مفاهيمه في واقعها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .



[١٠] الوسط الإيجابي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة، السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

تُرى ما الذي أعان هـذه الجموع على الصيام في رمضان رغم طول ساعاته وأيامه؟ ما الذي جعلهم يؤدونها في أجواء مشاعرية تبلغ بهم درجة الفرح والسرور رغم كلفتها؟ هذا هو أثر الأوساط الإيجابية التي تحيل كثيراً من صور التكاليف إلى مثل هـذه المعاني البهيجة في واقع إنسان.

حين أراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يؤدّب المتخلفين عن غزوة تبوك فرض عليهم عزلة شعورية فكانوا رغم وجودهم في وسط الجماعة محرومين من معناها الكبير للدرجة التي كان يفيض دمع الواحد منهم مراراً لفقدانهم لروح الجماعة وحرمانهم من مشاهدها.

تعلمنا الجماعة في رمضان أن المشاريع الجماعية تستوعب طاقات المجتمع، وتكوّن أرضـاً خصبة للعمل، وتشجع على التعاون، وتثير روح التنافس فيما بين الآخرين فلولاها بعد توفيق الله تعالى لم يكن بوسعنا أن نصوم شهراً كاملاً، ونصلي القيام، ونعتكف، ونتصدق، ونأتي على ختمات كثيرة من كتاب الله تعالى.

إن عصرنا اليوم هو عصر التكتلات، والأمة بحاجة إلى اجتماع أفرادها وتكاتفها فيما بينها، وصناعة مشاريع تستوعب طاقاتها الممكنة، وتعينهم على المشاركة في البناء في صور من الجماعية تنصهر فيها روح (الأنا) وتتضخم فيها

وعي (نحن) دون تحزّب لرأي أو فكرة أو مشروع، وتتعاون في ذات الوقت مع كل راية غايتها الحق ورائدها التعاون، وهمها خدمة الإسلام. ومن كمال وعي الفرد أن يختار صديقًا صالحًا، وفرداً ناهضًا، وأن يصطفي صحبة صالحة تعينه على العمل وتدفعه للمعاني الكبار، وأن يقبل على الأعمال الجماعية ويحاول أن يكون عضواً فاعلاً فيها ويتجنّب الفردية قدر وسعه فإنما يأكل الذنب القاصية من الغنم.



[١١] رمضان والدعاء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

حين أفاض الله تعالى في الحديث عن تقرير فرضية الصيام، وأبان جملة من أحكامه انتقل لبيان قربه تعالى من عباده وإجابته لدعائهم دون مقدمات ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] في إشارة لطيفة لأهمية الدعاء في مواسم الخيرات.

وحين تقرأ القرآن يدهشك لهج الكبار بالدعاء، واستشعارهم لأثره، وإدراكهم لما يتركه في حياتهم ولو بعد حين.

ولو فتحت سورة الأنبياء فقط لاستوقفك كثرة نداء الأنبياء لربهم ففي معرض قصة أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وفي ختام قصة يونس قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وفي مشاهد قصة زكريا قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وكل هذه النداءات كانت مؤذنة بمشاهد مثيرة في الختام تتمثّل في قول الله تعالى لكل هؤلاء ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] فشفي بها أيوب من مرضه، وخرج بها يونس من أزمته ومحنته، ونال بها زكريا ولداً، وصلاحاً في الأهل والذرية.

لقد حدد الخليفة الراشد عمر رضي الله تعالى عنه مشكلتنا فقال: «إني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء» وإذا أردت أن تعرف أثر هذه الشكوى



فانظر كم تدفع من وقتك لسؤال ربك!

علينا أن ندرك أن حاجتنا للدعاء فوق كل حاجة، وأن الواجب على الواحد منا أن يتعلّم كيف يضع وجهه في التراب ويردد يارب، وإذا رآك الله تعالى صادقًا مقبلاً حريصًا هداك للطريق وأرشدك للصواب وفتح عليك الخيرات.



[١٢] رمضان والقرآن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

عرّف الله تعالى رمضان بأبرز خصائصه، وأبهج صوره فقال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] حتى أن السلف فقهوا هذا المعنى فجعلوا من هذا الشهر قصصاً في التنافس على خيرات كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً .

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس في وصف نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن» فتراه ربط جوده برمضان، وجعل سبب تلك الزيادة الظاهرة في جودة علاقته بالقرآن!

وكم من عاقل أخذته الدهشة وهو يمعن في هذا الوصف لأثر القرآن على صاحبه. تُرى كيف يكون واقع المسلمين لو كان هذا الإقبال على كتاب الله تعالى مصحوباً بالتدبر والتأمل والفقه لمعانيه!

ماذا لو أن كل إنسان عرف ما يقرأ، ولم يجاوز الآية أو السورة حتى استوعبها في نفسه وتمثلها في واقعه وحياته!

كم مرة قرأ الواحد منا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١] ثم لا تردعه هذه الآية عن صور ومشاهد الظلم في حياته كزوج، وأب، ومسؤول!

كم مرة ردد تالٍ لكتاب الله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا



بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨] ثم تجده يركب سيارته، ويؤثث بيته على صور الربا! وفي مرات نتلو ونردد شهادة الجوارح على أصحابها في مواقف القيامة ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٥] ولا يرعوي الواحد منا عن الاستكثار من صور هذه الشهادات عليه كل يوم. ما أشد حاجتنا لتدبّر القرآن وفقهه وفهمه والعمل به.



[١٣] رمضان والجود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وما سئل شيئًا فقال لا، وعلّمنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن العطاء فن، وأن الحياة تقف مُجلّة للذين يحسنون فنون هذا المعنى الكبير.

وفي رمضان تتوسّع دائرة هذا المعنى في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وكان أجود ما يكون في رمضان».

وقد دعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذا العطاء وهيّج لبعض صوره في رمضان فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من فطّر صائمًا كان له مثل أجره».

ونهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأخذ ومد يد السؤال، وقبّح صوره للدرجة التي كان سوط الراكب من صحابته الكرام يسقط وهو على ظهر بعيره وينزل ليأخذه تعففًا عن السؤال وترفعًا عن منازله.

يمكنك أن تتعلم هذا الفن فتجود بالمال كما كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه وليس بالضرورة أن تدفع كل شيء وإنما شعورك بها وحرصك عليها ومشاركتك باليسير دليل هذا المعنى الكبير في واقعك.

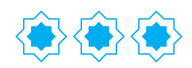
ويمكنك أن تجود بابتسامتك وطلاقة وجهك، ويمكنك أن تجود بجاهك وشفاعتك، ويمكنك أن تتعاون مع حيك ومجتمعك في إصلاح ذات البين،



ويمكنك أن تشارك في كل فضيلة وتسهم في دعم كل معروف وتكون عونـًا لكل محتاج.

حتى مساهمتك في تنظيف المسجد، ومشاركتك المالية في دفع أجرة عامله والتعاون مع الحي في برامجه ومشاريعه نوع من الوعي.

المهم ألا تكون فارغـًا من العمل متفرجـًا على ساحات الجود والكرم، ولو كانت هذه المشاهد فرع عن ما يجري في بيتك لكانت أكثر أثراً ومعنى وتذكر في كل مرة أن هذه هي أخلاق الأنبياء.



[١٤] رحمة الشريعة ويسرها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

قاعدة الشريعة الكبرى:

أن الأصل في الأشياء الحل، وأن رحمة الله تعالى سبقت غضبه، وأن كل ذنب غير الشرك فعاقبة صاحبه إلى الجنان وإن لقي في طريق رحلته إليها شيئًا من العقوبة والحرمان.

حين تقرأ أحاديث الصيام يشدك تلك الرحمة التي تمتلأ بها نصوصها:

«لا تَزالُ أمتي بخيرٍ، ما عَجَّلُوا الإفطارَ».

«لا تزالُ أمَّتي بخيرٍ ما أخَّروا السَّحورَ».

«إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّونَ على المتسحِّرينَ».

«من أكل ناسيًا، وهو صائمٌ، فليُتِمَّ صومَه، فإنما أطعمَه اللهُ وسقاهُ».

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

حتى الحامل والمرضع تسقط عنهما هذه الفريضة إشفاقًا بولدهما، ورحمة بهما وبصغيرهما.

وإذا امتد نظرك إلى أصول الشريعة وفروعها أدركت تمامًا أن الله تعالى أراد بها إسعاد الإنسان في الدارين.



مساكين أولئك الذين يظنون ضيق هذه الشريعة، وشدة أحكامها، وأن مبناها على العسر والمشقة ويتشدقون بهذا في المجالس العامة والخاصة ولو أنهم قرؤوا بإمعان هذه النصوص الخاصة برمضان فقط لأدركوا كم هي المسافة بين معرفتهم وواقع شريعتهم.

حين تقرأ نصوص الوحي قراءة مشاعرية سيدهشك جمال هذه الشريعة ويسرها وأناقتها ورعايتها لأدق التفاصيل المشاعرية في حياة الإنسان ومن الفقه، علينا أن ندرك أن الأصل في الشريعة اليسر، وأنها تحارب التنطع والغلو، وتواجه كل ذلك بحرزم.

وعلينا في المقابل أن نتخلّق بأخلاق حاملها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يكون الواحد منا كرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما خيّر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً. وإذا سبرت حاله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته وبيعه وشرائه وتعامله حتى مع عدوه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غمرتك مشاعر اليسر إلى أبعد مدى. فتمثل هذا المعنى في حياتك، واجعله أصلاً في التعامل في سائر أحوالك، وإياك وكل مايخالف هذا الخلق العظيم!





[١٥] رمضان والعقوبات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

تحكي الشريعة في رمضان قصة ذلك الرجل الذي وقع على أهله في رمضان فتعاملت معه الشريعة في ثوب من الصرامة، وأوجبت عليه عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا في إشارة إلى تكاملها، وجمعها بين اليسر والرحمة بالمكلف، والضبط لتصرفات المتساهلين في حياض الحرمات.

إن هذه الشريعة تشرّع منهجًا يقوم على الرحمة والعطف واليسر بالمكلف إلى أقصى درجة، ثم هي في المقابل تفرض حصاراً على المتمردين، وتذيقهم مس حرارة المخالفة حتى يعودوا إلى الطريق ولا يحدثوا خللاً في اتساق هذه الشريعة في قادم الأيام.

إن هذه الحدود التي يقوم عليها نظام الشريعة هي النظام الذي يصنع للناس أمنًا، ويجعلهم يعيشون فيما بينهم متآخين متراحمين ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩] حين يقتل القاتل، وتقطع يد السارق، ويجلد الزاني أو يرجم، ويضرب شارب الخمر فلا تخسر الأمة فرداً أو عضواً وإنما تحيا من جديد فيدرك الناس حقوق بعضهم، ويسود بينهم الاحترام، وتشاع روح الأخوة، وتجري بينهم مباهج الحياة وكل طرف يدرك ماله من واجبات، وما عليه من حقوق.





إن ثمة شغب يرفع صوته في أطراف الدنيا على أحكام هذه الشريعة باسم حقوق الإنسان يريدون به أن يحولوا به بين الناس وشريعة الله تعالى، ويخلقوا به فوضى لاحد لها في مستقبل الأيام ومن وعيك وكمال دينك أن تجل هذه الشريعة، وألا ترخي سمعك لأحاديث البطالين، وألا تنساق وراء هذه الدعوات مهما كانت، وأن تعتقد أن الله تعالى حكيم عليم﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].



[١٦] رمضان والبراءة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «فصلُ ما بين صيامِنا وصيامِ أهلِ الكتابِ ، أكْلةُ السَّحَرِ» يحاول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من خلال هذا النص بعث روح البراءة من المشركين من جديد.

ويذكّر الصائمين وهم في غمرة الفرح بشهرهم أن الشريعة وحدة واحدة يغذي بعضها بعضاً، وهي لا تقدم مفاهيم مفصولة عن بعضها وإنما تطرح مشروعاً متكاملاً لبناء الإنسان من كل جوانبه.

إن الكافر عدو للمؤمن هذه ليست معرفة يراد حفظها، وإنما عقيدة يراد لها العيش في قلوب المؤمنين، وسيظل الكافر عدواً مهما كانت الصور التي يديرها الواقع، وتمليها الظروف.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] وثمة فرق بين المعاملة التي نعاملهم بها وهي مبسوطة في قول ربك ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الممتحنة: ٨] ﴿تَبَرُّوهُمۡ﴾ بكل أنواع البر إلا ما فيه نص ثابت كالسلام وأعياد دينهم، وما عداه فقد فسح الإسلام في صور التعامل معهم لأرقى المثل والمعاني.

وفي حديث نبيك صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة» وبين



العقيدة التي يجب أن تعمر قلوبنا أن هؤلاء أعداء، وستظل معاملتهم مع كل مسلم مرهونة بهذا المعتقد ولن تأتي اللحظة التي تلقى منهم وداً إلا فيما يخدمهم قضيتهم وعقيدتهم ومنهجهم في الحياة قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

إن هذا المعنى يملي علينا أن ندرك أن رحى المعركة مع العدو لن يستقر إلى قيام الساعة وأن نكون متيقظين لكل وارد من قبلهم مستعلين متى ما وجدنا فيه معارضة لقيمنا ومبادئنا في الحياة، ويملي علينا هذا المعنى كذلك أن نعتز بديننا وقيمنا ووحينا وأن نعلم أن المصباح الذي أراد الله تعالى به تبديد ظلام العالم هو بأيدينا كمسلمين وليس بيد أحد من العالمين في الأرض.





[١٧] معركة بدر

يوم السابع عشر من رمضان ذكرى تتجدد معنا في كل عام، يذكرنا هذا التاريخ بزمن الانتصارات، وامتداد الدين، ورحلة الغزة في حياة المسلمين، كانت بدر أول غزوة في تاريخ الإسلام وأول انتصار يدك حصون الباطل في مكة بعد زمان من التعذيب لأصحاب الحق والمنهج.

حاول الباطل في تلك الفترة أن يفرض الاستعمار على كل شيء، وكان المسلمون بصحبة قائدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفضون كل صورة من صور ذلك الاستعمار.

ولم يعد ذلك الاستعمار اليوم قائم على السلاح كأداة أولى وإنما تحوّل إلى ثقافة وفكر فليس بالضرورة اليوم أن يستولي العدو على أرضك أو يعتدي على جزء من حقك.

الاستعمار الحقيقي في صورته الجديدة أن تُستلب هُويتك، وتضيع قيمُك، وتذبل استقامتُك، وتنتهي قصةُ تدينك، وتتحوّل مفاهيم الوحي إلى تهم تعير بها في عرض الطريق!

الاستعمار أن تفخر بلغة عدوك على حساب لغتك، وبتراثه على حساب تراثك، وبقدواته على حساب قدواتك.

لقد تغيرت أسماء بناتنا أو كادت من أسماء عربية إلى أجنبية.

وعلت الصيحات بتطلب تعليم اللغة الإنجليزية كلغة أم.

وتحوّلت ألبسة وظاهر أبنائنا إلى عبث باسم التقليد الأعمى.



في حين بدأت تتلاشى القيم الأصيلة والمتينة في حياة الأجيال.

وهذا كله مؤذن بانتصار العدو وظهور قيمه ما لم تتدارك الأمة تلك المعاني وتعود إلى دينها ووحيها وهي ترى فيها كل معاني العزة، وتعلم أن التقليد فرع عن الهزيمة، والانبهار بالآخر الطريق الأوسع إلى استعباده، وفي الوحي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ومن لوازم النصر العزة بالمنهج، والعمل للدين والصبر على تكاليف الطريق.





[١٨] رمضان والمحاسبة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

تمتلك الدهشة وأنت تقرأ قول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤-١٥] وأجدني مأسوراً لهذه المكاشفة الربانية لجنس الإنسان في ساحات الدنيا.

كم مرة حاول الواحد منا أن يخلق عذراً لتخلفه، ومساحة لتأخره، ومجالاً يخرج فيه من ضيق المسائلة إلى فضاء الأعذار وحين ينجح في خلق تلك الحجج الكافية لإعذاره تعرض له هذه الآية وجهاً لوجه ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤-١٥] قائلة له: يكفي هذا اللجاج والخصومة التي تود أن تخرج فيها من ساحات الناس، الحقيقة الكبرى هي ما بينك وبين نفسك فحسب.

رمضان من أعظم الفرص لفتح كشوفات حساباتنا، وكشفها، وتصفيتها وإعادة بنائها من جديد، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رغمَ أنفُ امرئٍ أدرَكَ شَهْرَ رمضانَ فلم يغفر لَهُ» كم نحن بحاجة في هذا الشهر إلى إعادة النظر في واقعنا، وإعادة ترتيب حياتنا، وتشكيل أهدافنا، وتنظيم أمورنا من جديد.

ثمة كشوف كثيرة تحتاج إلى عرض ونقد يأتي على رأسها علاقتنا بالله تعالى، وعلاقتنا ببيوتنا، وأسرنا، وأرحامنا، وجيراننا، وكشوف أهدافنا ومشاريعنا حتى





لا نأتي في النهاية نادمين على التفريط. إن من الغبن أن يدخل رمضان ثم يخرج منا ولم يصحح بعض مفاهيمنا أو يجدد علاقتنا أو يبني عاداتنا وفق منهج الله تعالى. وقد لاحت الفرصة من جديد ولا تفوت بإذن الله تعالى على الكبار.



[١٩] ليلة السُّرُج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فإن ليالي العشر الأخيرة من رمضان أعظم ليالي الدنيا على الإطلاق وفيها ليلة القدر التي ينبغي للعبد أن يتحراها ويجهد في ساعاتها ويبلغ وسعه في تحصيلها وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التمسوها في العشر الأواخر».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان».

وحين أراد الله تعالى أن يبين لنا عظمتها ويصف مشاهدها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: ٢-٣] وقد بلغك أن العبادة في هذه الليلة تعادل ثلاثًا وثمانين سنة وبضعة أشهر.

ثم أراد الله تعالى أن يبين لك عن حال تلك الليلة فأخبر أن ملائكة السماء بما فيهم جبريل تنزل وتشارك جموع المسلمين، وتبتهج بهذا الشرف الكبير فقال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ [القدر: ٤].

وأبان الله تعالى في ختام وصف تلك الليلة بكلمة مشاعرية تهتف بقلوب كل راغب إلى أبعد مدى فقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر: ٥] يغمرها السلام والبهجة والدهشة إلى مطلع الفجر.

ومن فقهك وكمال وعيك أن تتهيأ في هذه الليلة بكل ما تملك وأن تستعد لهذا المشهد الكبير، ومما يعينك على ذلك أن تستقبل هذه العشر الأخيرة من



شهرك بالأفراح، وأن ترتقي فيها نيتك لأقصى درجة الشوق، وأن تسأل الله تعالى ملحـًا عونه وتوفيقه وأن يقبل بقلبك إقبال الراغبين.

وأقبل بروحك على مشاهد تلك الليلة وأن تبسط جوارحك في رحاب محراب وتري الله تعالى منك خيراً، وأدمن سؤال الوحي: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) فإنه إذا عفى عنك فتح لك كل باب توفيق.

وكرر عليه حاجتك، وألح في دعائك، وسله بجوامع الدعاء ولا تتقاصر همتك في شيء فلا يعظم على الله تعالى شيء، هذه ليلة السلام في الأرض، والعفو عن الأخطاء، وجبر المصابين، وفواتح الخيرات ومثلك أوعى أن تضيع منك لأدنى عذر.





[٢٠] الاعتكاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فهذه الليالي تستحق الإجلال، وقد كان نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلها فيعتكف فيها ولم يترك الاعتكاف حتى توفاه الله تعالى، واعتكف أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي الله تعالى عنهن أجمعين، وهو سنة بإجماع العلماء.

قال الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: عجباً للناس كيف تركوا الاعتكاف ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يفعل الشيء ويتركه وما ترك الاعتكاف منذ قدومه المدينة حتى توفاه الله تعالى. اهـ

وقال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: مثل المعتكف كرجل له حاجة عند عظيم فجلس على بابه وهو يقول لا أبرح حتى يقضي حاجتي، وكذلك المعتكف يجلس في بيت الله تعالى ويقول لا أبرح حتى يُغفر لي. اهـ

ومن أعظم مقاصد الاعتكاف الخلوة بالله تعالى وإقبال القلب عليه وترك فضول الخلطة وكل ما يشغل عن الله تعالى.

ومن فقه المعتكف أن يقبل على ربه تعالى ويخلو به وينشغل بذكره وأن يجعل رأس ماله في ذلك الاعتكاف كتاب الله تعالى قراءة وتدبراً وتأملاً وفقهاً فإنه بالغ من ذلك ما أراد! وأن يجعل له ورد من الصلاة لا يتخلّف عنه البتة، وعليه أن يتخلى قدر وسعه عن وسائل التواصل الاجتماعي فإنها إن بقيت معه

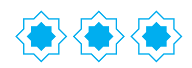




غالبًا ما تفضي به للضياع، والله المستعان!.

يصح الاعتكاف في كل مسجد تقام فيه الجماعة، والأصل ألا يخرج الإنسان من معتكفه إلا لما لا بد منه شرعـًا أو طبعـًا كالخروج لقضاء الحاجة، أو غسل الجنابة، والضابط في الخروج: أنه متى وجد العذر الشرعي أو الحسي جاز وإلا فلا. ويبدأ في دخول معتكفه عند غروب الشمس ويخرج منه بعد غروب الشمس.

نسأل الله تعالى أن يشرح صدورنا لهذه القُرَب ويعيننا وإياكم على اغتنام أيامها فيما يعود علينا بالخير في الدارين إنه ولي ذلك والقادر عليه .



[٢١] مدارسة القرآن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «**كان النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ**».

كان هذا اللقاء في كل ليلة من رمضان وكانت مائدته أعظم كتاب نزل على المخلوقين، وكانت الطريقة التي يتم بها التعامل مع هذا الكتاب مختلفة عما عليه سائر المسلمين اليوم.

كان هذا اللقاء يجري كل ليلة من ليالي رمضان وإذا أردت أن تعرف مكانة هذا اللقاء فانظر للمسافة التي يقطعها جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من السماء إلى الأرض من أجل هذا المعنى الكبير.

لن ينقضي عجبي وعجبك إلا إذا أدركنا أن هذا العناء كان من أجل القرآن، من أجل دراسة معاني هذا القرآن الذي لوّثه الغبار على مكاتبنا وشوهته الشمس في مداخل بيوتنا، وطالته أيدي النسيان وهو في أدراج وجنبات مساجدنا!

كم مرة يلفك الحزن وأنت ترى مصحفًا خاويـًا في أدراج مكتب!

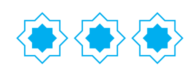
وإذا امتدت إليه يد قرأت منه للبركة فحسب!



كم مرة راعك صوت الحادي وهو ينعي غفلتنا عنه ويزري بنا ونحن نزّور بأوقاتنا عنه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

المبكي والباعث للحسرة في ذات الوقت أنه حتى رمضان ينتهي مشهد لذته حين ترى تزاحم أبناء المسلمين على حرفه دون معناه!

يالها من حسرة تلك التي ترى فيها جبريل وهو يمضي في رحلة مضنية من السماء إلى الأرض كل ليلة على مدار شهر كامل من أجل هذا القرآن في حين لم يكلّف الواحد منا أن يأخذ تفسيراً مختصراً ليتعرّف منه على معاني سور الفاتحة والمعوذات فحسب!.



[٢٢] تعظيم النص الشرعي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

بعثت أم الفضل بنت الحارث كُريب من المدينة إلى معاوية بالشام لحاجة لها فاستهل عليه رمضان وهو في الشام فرأى الهلال ليلة الجمعة ثم قدم المدينة في آخر الشهر فسأله ابن عباس رضي الله تعالى عنه متى رأيتم الهلال؟ فقال له: ليلة الجمعة فقال ابن عباس: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه. فقال له كريب: أولا نكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تأمل قصة هذا العَلَم الكبير في رحاب العلم ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهو يجيب على تساؤل كريب رضي الله تعالى عن الجميع (هكذا أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها إلى روح هذا الوحي وتمثّل كلمة هذا الحَبْر: (هكذا أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ماذا لو كانت الأمة اليوم تتحرّك بكافة أفرادها ومسؤولياتها وأنظمتها من خلال هذا المعنى (هكذا أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ كلمته الشهيرة: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) ولم يعد خافياً اليوم تلك المحاولات التي يرقق فيها دين الله تعالى باسم الفقه والتيسير وفهم الواقع ومسايرة العصر وهي في ذات الوقت مدافعة لمفهوم تلك الكلمة المتينة التي قالها ذلك الحبر!



بتنا نرى من لم يعد يتحرّج من الأخذ من لحيته حتى لم يبق لها سوى صورة، ومد ثوبه حتى جاوز به الكعب، ولم تعد الموسيقى عنده ذات شأن، ويحضر كل محفل ولو كان المنكر فيه شائعـًا، وتوسّع في بيعات الربا بحجة فتيا لا واقع لها.

ورُقق الحجاب في أوساط نسائنا حتى بات لثمة تستر جزءاً من وجهها فحسب، وكل ما كان بالأمس محظوراً عاد لا بأس به، وفيه خلاف، والمسألة فيها قولان. وإذا كان هذا في شأن المتمثلين للدين في الأصل فما الشأن في غيرهم!

وما سقته هنا مجرد أمثلة ونصوصها الشرعية في غاية الصحة ومع ذلك طالتها أيدي التأويل وتسويغ المخالفة ووجود الأعذار الكافية لإزاحة معانيها ويمكن مد هذه الصور إلى أكثر من نص شرعي.





[٢٣] القدوة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد :

ما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها لمعرفة سنة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه في الحياة، كم ستكون مباهج هذه الأمة لو عنيت بتدبر وفقه سيرة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! روت عائشة رضي الله تعالى عنها: **«كان رسول الله يقبّل ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه»** هكذا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته يثير مباهج الحياة ويصنع من اللحظات العارضة أنسًا وذوقًا وجمالاً في حين يقوم بإدارة الحياة ويصنع تاريخ البشرية في حقبة من أصعب حقب التاريخ على الإطلاق، ولم يتعارض معه أنس زوجه ومباهج بيته وصناعة مساحات الربيع مع تلك الهموم التي كان ينوء بحملها، وتلك الأثقال التي كانت ترهقه. وكأنه يقدّم رسالة لكل فرد في الأمة أن التوازن ليس خياراً مطروحًا في إدارة شؤونك اليومية وإنما قضية أساسية الخلل فيه خلل في إدارة حياتك كلها.

مؤسف أن بعضنا يعيش لمشروعه الشخصي أو يثير مباهج عمله ولكن في المقابل على حساب بيته وأسرته وحياته العائلية، وهذا مجرد نموذج لخلل يجتاح حياتنا بشكل مخيف.

فإذا ما أمعنت النظر قليلاً رأيت كيف كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعيش الحب ويجد له تطبيقات كثيرة في بيته في صور تستدر عواطف الشوق إلى أبعد الحدود ويجد في لحظات الجوع والعطش فُسحًا كثيرة لمباهج الحب ولواعج الشوق!





في حين يضن كثيرون بكلمة حب أو رسالة شوق أو هواتف ذكرى لزوجة تجتاحها مشاعر الحب ولا تجد مجرد محاولة لإشباع تلك اللحظات فيها وتعود البيوت شبيهة لحد كبير بالسجون التي لا ترى فيها إلا مشاهد القسوة والعنف والإهمال!.

إن جملة كبيرة من حوادث الشكاوى في المحاكم بين الأزواج وحالات الطلاق والفراق في مثل زماننا سببها فقدان الحب وانشغال كل واحد من الزوجين عن الآخر وكان يمكن لكلمة حب ورسالة شوق وحديث مشاعر أن يحيل بيوتنا إلى ساحات من الجمال نجد فيها رواء الحياة التي نتمناها فكيف لو كانت هذه المشاعر تطول الأسرة كلها ويجد فيها الأبناء حصانة فكرية ونفسية وعاطفية تقيهم غائلة المتربصين بهم والمترصدين لأعراضهم في كثير من الأحيان.



[٢٤] رعاية الحرمات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وبعد :

حدّث أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينا نحن جلوس عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاءه رجل فقال يارسول الله هلكت! قال: **(مالك)** قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(هل تجد رقبة تعتقها)؟** قال: لا، قال: **(فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين)؟** قال: لا، **(فهل تجد إطعام ستين مسكينًا)؟** قال: لا .. الحديث .

جامع زوجه في نهار رمضان ففرضت عليه الشريعة عقوبة يجد لهيب أوارها وحرارة لظاها ماعاش!

تلك اللحظة المباحة في أصلها المحرمة لعارض الصوم حين استبيح حماها ولم تُرع حرمتها كان الجزاء قاسيًا ومؤثراً للدرجة التي إذا لم تجد عتق رقبة فعليك بمكابدة شهرين متتابعين تتفوّق فيها من جديد على شهواتك ونزواتك العارضة فتعظّم شعائر الله تعالى، وتقوم له بحقوقه.

لعل الشريعة أرادت بهذا الجزاء أن تبين لنا أن في إمكان الإنسان مهما كانت ظروفه العارضة أن يرتفع فوق شهواته العاجلة وأن يتعلّم في ذات الوقت أن قليلاً من العاجل موجب لكثير من الخسران!

كم لنصوص هذه الشريعة من جلال وهيبة لو كنا نعي مداها في النفوس!



هذه العقوبة القاسية الصارمة في مقابل لحظة احتاج فيها الرجل زوجه في غير وقتها المأذون!

وهي في ذات الوقت حاجة فطرية في نفس كل إنسان ذلك لأن الإسلام يحب للمؤمن أن يتحلل من الطين ويتعالى على ضعفه البشري ويسمو بروحه ودوافعه ونزعاته إلى ملكوت السماء يستثقل هذا الجسد واحتياجاته ويستقبل وحي السماء وأنواره ويقدس تلك الشريعة الغراء فيأتمر بأوامرها ويقف عند حدودها فكيف بمن يواجه نصوص هذه الشريعة في كل مرة بالتشكيك ويجهد في صدام النصوص لبعضها، ويخوض برأيه في أي مسألة دون حرج، وكلما قام نص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ دفعهما عن واقعه وهو متكئ على أريكته دون أن يكلّف نفسه حتى مجرد سؤال أهل الذكر .إن هذا الحدث يعيد مكانة نصوص هذه الشريعة في نفوسنا، ويحملنا على تعظيمها وإجلالها بالقدر الذي يجعلها كفيلة في النهاية بمشاهد الحياة التي نستقبلها في الدارين .





[٢٥] نفي الحرج والضيق

حدّث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قائلاً: خرج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من المدينة إلى مكة فصام حتى بلغ عُسفان ثم دعا بإناء فرفعه إلى يديه ليريه الناس فأفطر حتى قدم مكة وذلك في رمضان. فكان ابن عباس يقول: قد صام رسول الله وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر.

هكذا هو الإسلام يعتبر فرائضه تهذيباً للإنسان وتربية له فإذا ما جاوزت ذلك وشكّلت خطراً على نفسه وأدخلت الضيق على مشاعره وألجأته إلى الحرج والمشقة توقفت عن سريان أحكامها ونقضتها من ذمته واعتبرت ذلك المكلّف لحظتها بريئاً من تكاليفها خالياً من مسؤولياتها. إنها جاءت لتهذيب أخلاقه وتربية نفسه وصقل مشاعره فإذا صارت ثقلاً وحرجاً ومشقة لم يعد لها حكمة من ذلك التكليف.

بلغ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الطريق أن رجلاً ظلل عليه من التعب فتوقف ودعا بقدح وشرب أراد أن يبين أن الشريعة جاءت لتهذيب نفس العبد وليس لتعذيبه، كأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول لنا شريعتكم سمحة يسيرة خالية من الآصار والأغلال تتعامل مع الإنسان وفق ظروفه وأحداثه ولا تكلفه سوى طاقته وسعته.

ولعل هذا الحدث يمسح صور الضبابية التي تغشى عيون البعض حول هذه الشريعة وأنها ضيقة ولا تراعي المشاعر والنفسيات وتبين لهم أنهم لم يقرؤوها قراءة ممعنة ليتعرفوا على مشاهد الجمال في مضامينها، وأراد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المقابل أن يثير مباهج القدوة فشرب أولاً لإدراكه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنها ستلغي كثيراً





من أسئلة الركب وتثير واقع العمل في كل صفوف أصحابه.

كان يمكن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأذن لحظتها لذلك المجهد من التعب بالشرب ويمضي غير أن الصورة ستظل ناقصة المعنى وسيتعثر في تقدير الظرف العارض كل إنسان ثم لا يجد كثيرون وضوحًا لتلك الصورة العارضة.

وما حاجة الأمة اليوم لشيء حاجتها لذلك القدوة الذي يكون حاضراً في أحداثها لحظة بلحظة! كم هي حاجة البيوت لزوج يثري الشريعة في أرجاء بيته!

وكم هي حاجتها لأب صادق بر رحيم بأولاده، وما أحوج مساجد المسلمين إلى إمام يدرك أن حاجة مأموميه إلى عمله وقدوته أكثر بكثير من حاجتهم إلى حديثه وموعظته!.





[٢٦] مشاهد المتسحرين في السماء

حدّث أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فإن الله وملائكته يصلّون على المتسحرين».

تأمل هذا المشهد الرمضاني الذي يتم في كل ليلة من ليالي رمضان!

مشهد تتناغم فيه أحداث الأرض مع أحداث السماء!

بمجرد أن تبدأ سحورك يبدأ ثناء الله تعالى عليك عند ملائكته، وتلهج الملائكة لحظة سحورك بالدعاء!

يا الله كم في هذا المشهد من أفراح لو أدرك الإنسان مشاهد هذه اللحظة وتخيلها وسرّح النظر في مضامينها لقام إلى سحوره ومشاعره ترقص فرحًا وسروراً لثناء ربه ودعاء ملائكته!

هذا في بضع لقيمات أثناء السحر فكيف بصاحب الطاعة والقائم بحدود الله تعالى والمعظّم لشعائره في سائر حياته!

ولو تساءلت لم هذا الإجلال لأكلة السحر بالذات؟ ل

م هذه العناية الكبيرة الجليلة بهذه اللحظات من عمر إنسان؟

ومن الإجابات التي ترتسم من أول لحظة تجاه هذا الحدث أن كل حكم في الشريعة له منزلته الخاصة ويستحق الاحتفاء وترصد له مكارم وهبات تجل عن تخيّل الإنسان!



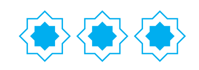
فإذا كان الله تعالى الخالق الكبير المتعال جل في علاه يحتفي بالمتسحّر للدرجة التي يثني عليه أمام ملائكة السماء لحظة سحوره فكيف به تعالى لمن جهد عمره في نيل رضاه!

كيف به تعالى أمام سجود عبده في لحظات السحر ورجائه وسؤاله وتفريج كربه في مواقف الحاجات!

هذا ربنا يحتفي بنا في اللحظات التي نمارس فيها بعض شهواتنا فكيف ونحن نجهد في عمل أو نتخلى عن شيء من أجله تعالى يا الله كم يستحق هذا المعنى من مشاعرنا ووجداننا ولحظات الأشواق في حياتنا!.

يا أيها المتسحر:

تذكّر وأنت تتجه لسحورك قول نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعرباض بن سارية وهو يدعوه لأكلة السحر «**هَلُمَّ إلى الغداء المبارك**» وتأمل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول عن أكلة السحر «**إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه**» وإياك أن تتهاون فيه ورسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لك «**السحور أكله بركه فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**» وتذكّر وأنت تتسحّر أنك تستجلب خيرات السماء ومشاهد الرضا.





[٢٧] هموم المربين

حدّثت الرّبيع بنت معوّذ رضي الله تعالى عنها فقالت: (كنا نصوم ونصوّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الإفطار) تأمل هذا الحدث الرمضاني الذي تحكي فيه الربيّع قصة مجتمع وثوران القيم فيه للدرجة التي صارت هي المحرّك لشؤونهم وشجونهم وحكاية الثقافة السائدة في تلك الحقبة من التاريخ.

كانت التربية تشغلهم للدرجة التي تسيطر على همومهم وأوقاتهم ويصرفون لها جزءاً كبيراً من تفكيرهم ويبذلون لها الوسائل الممكنة لنضجها وتحقيق ثمارها.

إنهم لا يكتفون بتعليم أبنائهم أصول دينهم وحثهم على اعتناق مبادئه، كلا! وإنما يجهدون في تمثّلهم له حتى في الشعائر المستحبة غير الواجبة للدرجة التي يتفرغون لهم ويمنحونهم الأوقات ويبقون معهم يمارسون أنشطة تسلّيهم عن الجوع والألم حتى يتم الواحد منهم يومه في الصيام.

لم يفرض الصوم بعد على هؤلاء الصبية ولكن ذلك الجيل كان يؤمن بأثر التربية ودورها الكبير في تنشئة جيل قادر على استيعاب مضامين تلك المفاهيم والحياة بها في مستقبل الأيام، ويدرك تماماً أن كل جهد مبذول في أيام الصغر أعود ما يكون على أصحابه مع الزمن.

تأملت هذا الحدث وقارنته بحال بعض أسر المسلمين التي لا تقيم أبناءها لصلاة الفريضة أصلاً، وقد ترى هؤلاء الأبناء ينامون عن أعظم فرائض الله



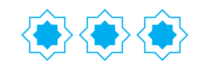


تعالى ثم لا يُحرك لهم هذا المشهد ساكنـاً فضلاً أن يشعروا بمسؤوليتهم تجاه أول سؤال يُسألونه بين يدي الله تعالى يوم القيامة!

ولو أمعنت قليلاً في المقارنة لرأيت فارقـاً بين أسر تشغلها التربية وتسيطر على همومها كما تحكي الربيّع وأسر تشتري لأبنائها صنوف التقنية المدمّرة لأخلاقها وقيمها ومبادئها ولم تتجاوز بعد سن السابعة أو الثامنة ثم لا تكلّف نفسها السؤال عن مآلات هذه الجوانب وآثارها القيمية.

وأسر أخرى لا تعتني بالحجاب لبناتها وتقارب البنت البلوغ وهي لا تعرف الحجاب أو لم تشعر بأهميته في أوساط الأسرة وكبرت فشعرت بضيقه ولم تأنس به وعاشت في صراع دائم معه فلا هي التي وصلها مفهومه الشرعي ولا هي التي تربت على قيمه ومبادئه من البدايات.

ما أحوجنا لهذه الهموم الكبيرة في كل بيت وأسرة ومجتمع.





[٢٨] مشاهد العمل والاقتداء

في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الوصال رحمة لهم فقالوا: إنك تواصل، قال: «**إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني**».

وفي حديث ابن عمر أنه واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم.

وفي حديث أنس أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واصل وواصل أناس معه فبلغه ذلك فقال: «**لو مُدّ بي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمّقون تعمقهم**» إنك حين تقرأ هذا الحدث ترى فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مغفور الذنب وهو يجهد في عبادة ربه، وبناء نفسه وتأهيل ذاته إلى أقصى درجة ممكنة، إنه يواصل صومه ليومين فأي معنى في العمل تمنحه هذه القدوة في واقعها، إنها رسالة ضخمة يهبها النبي صلى الله عليه للآباء والمربين ويدعوهم لفن العمل والتطبيق قبل كل شيء.

وترى في المقابل حرص ذلك الجيل الذي رباه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى في الشاق من العمل والمكلف لهم والمجهد لذواتهم لم يذهبوا يبحثون عن الإعذار الممكنة لتفلتهم عنه وانفكاكهم من تبعاته وإنما يبحثون عن الإسوة ويتطلبون مظاهر الاتباع ويجهدون في اللحاق.

وينتهي مشهد الحدث في النهاية برسالة ضخمة مفادها أن الاتباع منضبط وأن الزيادة في الشريعة كالنقص فيها لا فرق!

ولا يعد ولاء الحب والشوق مسوغاً لذلك الإفراط بل تخاصمه الشريعة

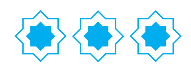




وتقف ضده وتحاصره في أضيق الزوايا وتعتبره تجاوزاً لحدود هذه الشريعة وتجنياً فيها ويستحق صاحبه العقاب.

نهاهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الوصال مع كلفته ولم ينتهوا ويفرحوا لفكاكهم من العمل وإنما ذهبوا يسألون (إنك تواصل) وكأنهم يقولون ونحن مثلك نريد نواصل! ما الفرق بيننا وبينك!

هذه هي النفوس الكبيرة التي تفرح بالعمل وتستاق إليه وترى بأنه هو الحياة ويدركون أن الكسل والتواني لا يُعقّب إلا الضياع والخسران .



[٢٩] العيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فهذه هي أيام العيد، هذه أيام الحياة، هذه قصة الأشواق لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الإسلام كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من حق كل واحد منا اليوم أن يستشعر هذا المعنى الكبير كما قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

كبروا يا أيها المسلمون في بيوتكم، وأحيوا الأرض بهذه السنة التي كادت أن تندثر، أخرجوا إلى أسواقكم وطرقاتكم ورددوا في العالمين (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد).

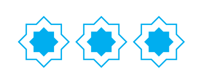
تبدأ سنة التكبير من غروب شمس آخر يوم من أيام رمضان إلى دخول الإمام مصلى العيد، تجملوا والبسوا أحسن ثيابكم وعبروا عن فرحكم واشدوا بكل مباح فذلك من دين الله تعالى ومن جمال شريعته.

قبلوا والديكم وأهليكم وأولادكم ومدوا أيديكم إلى كل صديق وتجاوزوا خلافاتكم وارسموا للعيد معناه، ولا تجعلوا للشيطان نصيباً في مثل هذا الأيام فتموت مباهج الحياة من القلوب.

كلوا تمراً ولا تخرجوا من بيوتكم إلا مفطرين، اذهبوا من طريق وعودوا من طريق وكثروا من شهود الله تعالى لكم في الأرض، ولا تتخلفوا عن صلاة



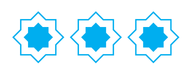
العيد، زوروا بعضكم البعض، وادخلوا البيوت فذلك من أعظم القرب في دين الله تعالى، أكثروا من مشاهد العيد ووسعوا في مباهجه ولا يقعد بكم العجز عن مد مساحة هذه المعاني واحسنوا النية وتفاءلوا فالحق باق والباطل زاهق، والنصر حليف الإسلام من فجر التاريخ إلى قيام الساعة. والله المسؤول أن يصلح شأن المسلمين ويعينهم على خدمة دينهم إلى يوم الدين، وهو المستعان، وعليه التكلان ومنه الحول والطول إنه ولي ذلك والقادر عليه .





الفهرس







التصميم الداخلي للكتاب
ثروت سلطان
Tharwat Sultan
للتواصل :
00201019530152
TharwatSultan@yahoo.com